

حلم العودة الثانية تحقق: عون «رجع م بعداً»



فرحة العودة الثانية تحظت باشواط فرحة العودة الأولى في أيار 2005 (مروان طحطح)

فِيضَانٌ عَقِيبِي

في كل مرة كان يقرأ فيها مروان حمادة إسم «ميشال عون»، كان العونيون المتجمعون أمام المبنى المركزي للتيار الوطني الحرّ في سن الفيل يحتسيون الأصوات وراءه، إنطلقوا من الرقم واحد وصولاً إلى 83، وهو عدد الأصوات التي نالها العماد ميشال عون في الدورة الثانية من جلسة انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية بعد سنتين ونصف من الفراغ.

العماد الذي أقصي عن القصر بعملية عسكرية وصفها بذل الربح، عاد إليه، أمس، بعد 26 عاماً، بديموقراطية الانتخاب، منتصراً فكرياً. إنه القدر الذي أعاد الحق لأصحابه، وأنصف من نفي واضطهد وشوّهت سمعته ولكنه صمد مع شعبه، إنه العماد الذي خسر معارك ولكنه انتصر في النهاية. دخل الرئيس ميشال عون قصر بعداً على وقع 21 طلقة مدفعية أطلقتها الحرس الجمهوري ترحيباً واحتفالاً به، وجلس على كرسي الرئاسة الأولى لالتقاط الصورة الرسمية الأولى في العهد الجديد، قبل أن يوقع المرسوم الأول من عهده الذي نعى فيه حكومة تمام سلام، فتحوّلت حكماً إلى تصريح الأعمال كما ينص الدستور.

هذه الوقائع القليلة التي لم تستغرق أكثر من أربع ساعات، مرّت دهرًا على العونيين القابعين على الطرقات منذ الصباح الباكر. البداية من كسروان التي سلمت الأمانة إلى بعداً بعد 11 عاماً. استيقظ عونيها باكراً، تجمهر شباب فتوح كسروان على الأوتوستراد الساحلي منذ السادسة صباحاً لتوزيع صور «فخامة الرئيس»، ومنشور النشيد الوطني اللبناني على المارة، قبل أن يعودوا إلى العقبة لمواكبة الجلسة الانتخابية والاحتفاء بالنصر بالحفلات الموسيقية. أما الضيق والبلدات الكسروانية الأخرى فقد احتفلت كل على طريقها، الشاشات العملاقة اقترشت ساحاتها في انتظار الإعلان المنتظر الذي ترافق مع إطلاق المفرقات النارية وتقديم البقلاوة وذبح الأضاحي والديكة،

قوته من عون الذي يجلس في منتصف قميصه. «أم ربيع» تلوح بإشارة التيار للمارين وتحمس مع خطوات زوجها فتلاقيه راقصة وسط الساحة غير أبهة للسيارات المتكدسة وراءها. فيما ربيع، منظم النشاط، على طريقة والده، يسير رافعاً يديه، محاولاً إخفاء دموعه، مرة بالاستدارة لرش الشمبانيا، ومرة أخرى لإشعال المفرقات. هنا تجوب الإعلام القواتية البلدة بخفر ويقتصر وجودها على علم أو اثنين بعيداً عن مكان الاحتفال. وعندما يغيب القوات، يحضر السيد حسن نصر الله بقوة في الأحاديث المتبادلة. الكل مقتنع بأن حزب الله هو الحليف الوفي، وإذا كان من شكر، فلا يفترض إلا أن يكون لرجال المقاومة ووعدهم الصادق. وهو ما يذيعه المبكرو لاحقاً وسط تهليل برتقالي مصحوب بدق على الطبل. مدير مكتب نائب رئيس الحزب للشؤون الإدارية، جو بو جودة، ترك المركزية أيضاً ليشترك بلدته فرحتها بعيداً عن زحمة المكتب، وقد تولى بنفسه توزيع البقلاوة والبيتفور على المارين. في الجديدة، تجمهر الأهالي أمام مكتب النائب إبراهيم كنعان، أو ما يعرف بـ«البيت الأبيض»، حيث تولت تانيا، زوجة كنعان، الاحتفال مع الأهالي بـ«اليوم المجيد». في جل الديب، اشتعلت الساحة الرئيسية في البلدة رقصاً وفرحاً مع منسق هيئة قضاء المتن هشام كنج. وفي الضبية، كان هناك احتفالان: الأول لهيئة التيار في البلدة بقيادة عبدو لطيف أقيم عند الطريق الرئيسية، والثاني لمجموعة «عونيون» أمام مكتبهم. وكان لافتاً رفع صورة كبيرة لعون وجعجع أمام المنزل الذي عانى من ممارسات القوات، منزل القيادي الشمعوني جوزيف عبود. عند الساعة، توحدت الاحتفالات والمواكب على الأوتوستراد لتسلك طريقها نحو ساحة الشهداء حيث الاحتفال الكبير. هكذا، صالح التيار الوطني الحر والجمهور العوني قصر بعداً أمس بعد جفاء 26 عاماً، والقائد العسكري الذي أخرج منه ليل 13 تشرين الأول 1989 بالقوة عاد إليه بالبرة الرسمية في 31 تشرين الأول 2016 بقوة شعبه.

بظرفين، كما وصفه العونيون، و«مداخلات سامي الجميل»، التي عاد وأنهاها الرئيس بري بالزام النواب الاقتراع لميشال عون ووقفاً، قبل إعلان فوزه وتلاوته قسم حماية الدستور وخطاب بناء الدولة القوية. فرحة العونيين، أمس، لا تشبه أي فرحة سابقة لهم، إنها فرحة العودة الثانية التي تحظت أشواطاً فرحتهم في يوم العودة الأولى في أيار 2005. أمس بكوا دموع الفرح. أخيراً عاشوا الحلم الذي طال. أمس حول عمادهم الرقم 13 الذي سطر الذكرى الأقسى بتاريخهم (ذكرى 13 تشرين) إلى رقم الأمل بعد أن أصبح الرئيس الثالث عشر للجمهورية الموعودين ببنائها في عهده.

بعضهم اعتبر أن نضاله انتهى بعودة العماد إلى بعداً التي دخلها مع دمة في عينيه، لكن الرئيس سرعان ما مسحها ليطلق نشاط عهده، وناداهم مجدداً معلناً اليوم بدء العمل للنهوض بالدولة. 31 تشرين الأول يوم تاريخي في مسيرة «جيل عون»، وهو مجرد البداية فقط.

وقائم الجلسة مرّت دهراً على العونيين القابعين على الطرقات منذ الصباح الباكر

المشهد نفسه في مركزية التيار. حضر شباب الجامعات واللجان المركزية والناشطون من مختلف المناطق، توجهوا إلى بيوتهم للاحتفال بأبيهم الذي بات، منذ أمس، «بي الكل». هناك الاحتفالات بدأت قبل إعلان النتيجة، ولم تتوقف إلا مع بدء الجلسة التي استنزفت طاقاتهم، قبل أن تهلل الوجوه المترقبة فرحاً بعد أربع عمليات اقتراع متتالية، بفعل «ولدنة» أحد النواب الذي أصرّ على الاقتراع

واختتمت بحفلات موسيقية أمام مركز هيئة القضاء في جونبة. لا تختلف الأجواء كثيراً في حارة حريك، البلدة الفقيرة التي تحوّلت في غضون يوم واحد إلى «البلدة الأولى». هناك جلس الأهالي في ساحة كنيسة مار يوسف منذ العاشرة صباحاً، في انتظار إنتهاء الجلسة التي أعلنت ابنهم رئيساً للجمهورية، فامتزجت عندها أصوات الأجراس مع أصوات الأذان وصور العماد والسيد احتفالاً بعودة الجمهورية التي حكمها الفراغ منذ عقدين ونصف. شقيقة الرئيس كانت أولى الحاضرين، انتظرت النتيجة مع عوني الحارة وبعداً ورفاق الصبا، على وقع الصلوات والأغاني العونية والوطنية، التي لم تقطعها إلا وقائع الجلسة التي امتدت لأكثر من ساعتين، حتى طيف «أبو نعيم» رفيق المناضلين كان حاضراً، فهو لأم ينسوه بل توجهوا إلى ضريحه لوضع أكليال الورد، قبل أن تبدأ الاحتفالات والمواكب السيارة وصولاً إلى طريق القصر لاستقبال الرئيس على وقع زموره الشهير الذي اضطهدوا لأجله أوعاماً.

بعد أن تحقق الحلم ينتظر العونيون أن يبدأ العمل لبناء الجمهورية (مروان بو حيدر)



لحظات قبل أن يصل أفراد العائلة العونية: السيدة ناديا، وبناتها الثلاث، وأصهرتها، والأحفاد. شامل روكز كان هو المطلوب من وسائل الإعلام. لم يعمد العميد المتقاعد إلى إخفاء بسمته حين وُصف عون بفخامة الرئيس، مؤكداً أنه «ساكون» في خدمته في الموقع الذي يراه مناسباً، رداً على سؤال إن كان سيعلن وزيراً.

أعيد رفع العلم اللبناني ونُظفت السجادة الحمراء للمرة الأخيرة، قبل أن يظهر عليها عون قرابة الساعة 3 و20 دقيقة. على الباب الرئيسي تنتظره عائلته وفي صالون السفراء المصورون لالتقاط الصور الرسمية له. أما في الخارج، على الطريق المؤدية إلى القصر، فـ«تسونامي» من الإعلام البرتقالية وعونيون اقترش جزء منهم الأرض وجزء آخر رقص في وسط الطريق. بعد أن تحقق الحلم، ينتظرون أن يبدأ العمل لبناء الجمهورية.

هوية الرئيس معروفة «ولكن لن توزع سيرته الذاتية إلا بعد الانتخاب». بعد ذلك، انتقل شلالاً مع المدير العام للرئاسة أنطوان شقير إلى ساحة النجمة. مَرّ الوقت ثقيلًا على الصحافيين الذين كانوا يتابعون مجريات جلسة الانتخاب من القاعة العامة. الأعصاب اشتدت بعد عدم حصول عون على الأصوات الكافية من الدورة الأولى وإعادة توزيع المغلفات مرتين. «من صبر نال»، تُعقب الزميلة هدى شديد. محاولات قتل الملل كانت بالأحاديث الجانبية، بطلها نقيب المصورين السابق نبيل إسماعيل. «رغم كلمة السر التي تأتي، هنا الديموقراطية الحقيقية»، يقول عارضاً تجربته في اليمن وسوريا، ومقارناً بينها وبين الانتخابات في لبنان.

بعد قسم اليمين الدستورية، كان الانتقال إلى الباحة الخارجية حيث اصطفت كتيبة تشريفات الحرس الجمهوري وصولاً إلى مدخل القصر.

التفاف الناس حوله وتشكيله حالة جماهيرية أساسها عاطفي، ثالثاً، قوة التحالفات التي عقدها وأهمها تفاهم مار مخايل في 2006. كل هذه الأمور أعادته إلى بعداً «بالبلدة الرسمية».

«عند رجعت الحركة»، يقول أحد الموظفين في القصر الجمهوري الذين كانوا كُفراً أمس ينتظرون رئيسهم الجديد. التدابير الأمنية مشددة وقد طلبت أسماء مندوبي الوسائل الإعلامية قبل 48 ساعة من يوم الاثنين. بين المكاتب التابعة لمكتب الإعلام في القصر، توزع المندوبون. بعد الساعة الـ11 بقليل، يُطلب إليهم التوجه إلى مكتب المسؤول الإعلامي رفيق شلالا الذي ورع الإرشادات الأخيرة قبل أن «اتوجه غير مأسوف علي إلى المجلس النيابي»، يقول ممانحاً. يُخبر أنه «حين تنطلق نافورة المياه، يكون الرئيس قد وصل إلى النقطة رقم 6 وتطلق 21 طلقة من المدفعية الخلبية». وعلى الرغم من أن